

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

### تعزيز الأبحاث السالفة

وُتُعِيدُ الْحَوَارَ مُجَدَّدًا بِأَنَّ الْجَهْلَ الْفَوْقُورِيُّ وَالْتَّقْصِيرِيُّ، كَلَاهُمَا يُنْسَبُانِ إِلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ نَظَرًا إِلَى عِتَابٍ وَمَلَامَةِ الْعُرْفِ عَلَى  
الْجَاهِلِ مُطْلَقًا (بِقَوْلِهِ: هَلَا تَعْلَمْتَ وَلَمَاذا بَقِيتَ جَاهِلًا) [1]

وَنُؤكِّدُ ثَانِيًّا بِأَنَّ الْمُتَوَخَّى مِنْ: مَا غَلَبَ اللَّهُ. هُوَ الَّذِي يُسِّنِدُ الْمُتَعَارِفَ بِدَاهَةً وَبِدَاهَةً إِلَى اللَّهِ فَقَطْ فَيُعَدُّ مُغْلُوبًا مَعْذُورًا، إِذْنَ فَالْغَلْبَةِ  
عِبَارَةٌ كَنَائِيَّةٌ عَنِ الإِسْنَادِ الْقَهْرِيِّ إِلَى اللَّهِ، وَحِيثُ إِنَّهَا تَعْدُ عَنْ وَانًا عَامًا فِي الْتَّالِي يَحْتَضُنُ:

1. مرض الصرع أيضًا حيث إنه لم يحدث من تلقاء نفسه فيعد مغلوبًا مقهورًا وبالتالي سيندرج ضمن قوله: لا يقدر على الصلاة.
2. و مرض الزهايمر والإغماء والمريض طيلة سنة أو سنين.
3. و المرض عن تكميل صيام شهرين متتابعين.
4. و المُجَبَّرُ المقهور حيث يعد منعدم الاختيار تماماً.

و لكن هذه القاعدة لا تحتوي:

1. الناسي حيث إنه أيضًا يُنْسَبُ أَوْلًا وَبِالذَّاتِ إِلَى الْإِنْسَانِ عِرْفًا، نَعَمْ مِنْ اعْتَبَرَ الرُّؤْيَا الْعُقْلِيَّةَ فِي ذَلِكَ لِنَشَأَتْ كَافَةُ الْأَسْبَابِ عَنْ  
رَبِّ الْأَرْبَابِ لِأَنَّهُ الْمُسَبِّبُ الْحَقِيقِيُّ، بَيْنَمَا أَمْثَالُ هَذِهِ الْرَوَايَاتِ قَدْ خَاطَبَتِ الْمُتَسَائِلِينَ الْعُرْفِيَّينَ.
2. و لا المضطر إذ لا يعد مما غالب الله حيث إن هذه الحالة تنتمي إلى أحوال الإنسان رغم أنه معذور حكمًا.
3. و لا المكره لأن المبادر في الصنيع رغم أنه معذور حكمًا.
4. و لا الجهل بشقيه أيضًا، فإن التفكير العرفي البدوي يُنْسَبُ إِلَى اختيارات الإنسان، حيث قد وردت شتى الآيات تجاه ذلك: "وَلَكُنِي  
أَرَأْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ". "أَئَتُكُمْ لِتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ". "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ  
بِجَهَالَةٍ". وَمَا يَدْعُمُ ذَلِكَ هُوَ الْاسْتِعْمَالَاتُ الْعُرْفِيَّةُ حِيثُ تلوِّمُ الْجَاهِلَ لِجَهَلِهِ وَلِمُغَادِرَتِهِ الْدِرْسَةِ وَالْتَّعْلِمِ، فَالسَّبِبُ الْوَحِيدُ هُوَ  
اختياراتِ الْمَرءِ، فَلَا نَشَكُوا إِلَى اللَّهِ بِأَنَّهُ: لَمْ جَعَلْنَا جَهَلَهُ وَسَقَهُهُ". نَعَمْ بِالنَّظَرَةِ الْعُقْلِيَّةِ سُوفَ يَنْسَبُ الْجَاهِلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: وَلَا يَحِيطُونَ  
بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا يَشَاءُ.

و بال التالي لو نسي أو جهل ما بين المائية أو الخمرية فشربه جهلاً أو نسياناً لنسب الفعل[2] إلى نفس الإنسان لا إلى الله.

5. و لا القتل الخطأ محضاً حيث يتم إسناد الفعل إلى نفس الخطأ رغم أنه لم يقصد شيئاً أساساً إلا أن عليه أن يُسدد الدية لأنه لا يعد مما غالب الله عليه عرفاً. [3]

و أما الفارق ما بين الجهل القصوري والقصيري هو أن المقصري يُعاب عليه و يعاتب على تقصيره فلا يعد معدوراً في هذه النقطة بينما القاصر لا يعاتب على جهله لأنه عديم الالتفات.

### نحو شبهة موهومة

لقد قال بعضهم بأن قاعدة: لا تعاد. لا تحتوي العالم العادم بل منصرف عنه فتتوجب عليه إعادة المستثنيات المذكورة، فخصّصَ القاعدة بالناسي و الجاهل حيث قد أزيل عنهما الإعادة و القضاء في غير المستثنيات، فوتقىئذ لو اعتقى حكمة قاعدة الغلبة على قاعدة لا تعاد، بأن الجاهل القاصر (لا المقصري) مغلوب من جانب الله لما توجب عليه شيء من الإعادة و القضاء، و كنموذج لذلك نُمثل بأن بضعاً من الذين يعيشون في البلدان النائية لا يحرز طلوع الفجر لمدید من السنين و لكن حيث كان المرء قاصراً فسوف يعد مغلوباً من الله، و بالتالي ستحكم هذه القاعدة على استثناء قاعدة لا تعاد.

و لكننا نأبى هذه الحكمة إذ نعتقد بأن قاعدة الغلبة لم تتعرض لموضوع الجاهل أساساً إذ الميزان في الغلبة هو الذي يُنسب إلى الله عرفاً بينما مطلق الجهل ينتمي إلى المكلف تحديداً، نعم غاية الأمر أن الجاهل القاصر يعد معدوراً لقصور ذهنه و تفكيره و لكنه على كل تقدير لا ينتمي إلى الله مباشرة عرفاً، فحيث إن خروجه يعد موضوعياً فسوف تتلاشى عملية الحكمة المذكورة، و بالتالي تصبح النسبة بين القاعدتين تبأنية بلا صلة بينهما، و على ضوئه فيتعدد على عاتق الجاهل الإعادة و القضاء حتى في المستثنيات و ذلك وفقاً لقاعدة لا تعاد.[4]

[1] و سوف نخاصم هذا الكلام عن قريب، فتربيص.

[2] ثمة فرق بين نفس الجهل و نفس الفعل فال الأول يناسب إلى الله و لكن الثاني يناسب إلى الإنسان و لهذا يقول الله تعالى: أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا و إن كنا عن دراستهم لغافلين. فقد نسب الجهل و سببه إلى الله و لهذا قد بعث الرسل لكي يخرجهم من الجهل المنسوب إليه لأن الله هو السبب الأقوى في ذلك، فالجاهل القاصر بل المستضعف معدور و مغلوب إلا إذا التفت و سعى إلى العلم و هذا الالتفاتات عنانية و توفيق من الله تعالى أيضاً.

[3] ربما نقول بأنه يعد مغلوباً و معدوراً لأنه عديم الالتفاتات أساساً فلا يُسند إليه عرفاً بل ينتمي إلى تقدير الله و قضائه وأما الديمة فمن أجل الدليل الخاص عليه.

[4] و لكن الغلبة في اللغة هو القهر و انعدام الاختيار ثم نتيجة لذلك سوف يناسب إلى نفسه نظراً للقهرية و القوة و التفوق و لهذا فإن حدوث الجهل و بقائه ليس بيد القاصر لأنه عديم الالتفاتات نظير الجاهل المركب فكيف يُسند إلى نفسه عرفاً . فوفقاً لتباعنا ضمن تعابير الفقهاء إن المعتبر هي الغلبة بعلاوة عدم الاختيار معاً لكي يصح الانتساب ولو ضرب أحداً و أغماه لانتسب الإغماء إلى الله أيضاً إضافة إلى نسبته إلى الضارب إلا أن العرف يرى محض عنصر الإغماء الذي يناسب إلى الله فيرتفع عنه الحكم نهائياً رغم أن الضارب هو المباشر و يعد ضاماً حكماً.